المحاضرة السادسة

‘الإيذاء – الحصار الاقتصادي ‘

الحصار الاقتصادي :

بعد الجهر بالدعوة تعرض المسلمون للإيذاء:

منذ ان جهر نبي الله بالدعوة وقريش تتفنن في أذية النبي ﷺ وأذية أصحابه، سواء كانت هذه الأذية أذيه جسدية أم معنوية، الأذية المعنوية أيضاً لها تأثير كالأذية الجسدية.

تصور انك في مجتمعك الذي أنت فيه والمجتمع يؤذيك بكل أنواع الأذية المعنوية يضطهدك وينظر إليك نظرة سلبية، لاشك أن هذا سيؤذيك كثيراً فضلاً عن ان تتعرض إلى اذية جسدية بالاضافة إلى الاذية المعنوية.

١ -إصرار المعذبين من الصحابة على البقاء على الاسلام بلال، خباب، آل ياسر.

قريش أصيبت بذهول وبهزائم متكرره في رحلتها التعذيبية لنبي ﷺ وأصحابه، ذلك ان كل اصناف التعذيب الجسدي والمعنوي لم يثمر شيئاً أبداً، كلما زادوا في التعذيب كلما أصر أصحاب النبي ﷺ بإصرار لم يعهدُ مثله قط على البقاء على دينهم.

أمية ابن خلف وهو يعذب بلال ابن رباح انكسرت نفسه وأصيب بهزيمة نفسية منكرة أن هذا الإنسان لم يستجب أبداً لأصناف التعذيب التي لقيها منه، أمية ابن خلف ضرب ثم عذب ثم وضع الحجارة ثم سحبه على الرمل ثم فعل فيه الأفاعيل ولم يتزحزح بلال عما هو عليه من معتقد بل هو ينطق بالحق في ذات التعذيب وفي وقت التعذيب، لاشك ان لهذا ردة فعل عند أمية بن خلف وعند قريش.

وغير امية ابن خلف ممن باشروا التعذيب أبو جهل اذى نبي الله اذية منكرة وفي كل مرة يصاب هو الآخر بهزيمة نفسية، انه لم يجد شيئاً ولم يحصل على شيئاً من وراء هذا التعذيب.

وغير أمية وغير ابو جهل وغيرهم ممن نصبوا انفسهم أعداء للنبوة وأعداء للرسالة.

٢ -صبر المسلمون على الحرب النفسيه وعلى توهين قواهم المعنوية، حيث تألفت جماعه للاستهزاء بالنبي وصحابته في اطرقات والمساجد وفي الحياة العامة وتفننوا في اتخاذ الألفاظ المؤذية.

حيث رموهم بتهم هازلة وشتائم سفيه - كما تفعل المعارضه اليوم وفي كثير من الأحيان يتبادلوا تهم وشتائم لكن لم تكن مثلما كانت تفعل قريش بالنبي وأصحابه - وصفوا النبي بالجنون ووصفوه بأنه ساحر وأنه كذاب ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾

تصوروا هذا النبي الكريم الذي هو الصادق المصدوق عندهم قبل البعثة جميعهم يصدقونه ويحبونه ويجلونه ويعظمونه، ثم ان دعاهم إلى توحيد الله انظروا ماذا فعلوا؟؟ قالوا ساحر، كذاب، مجنون، ولكنه كان صادق مصدوق فيهم، نهاراً يقولون عنه ساحر ومجنون، وليلاً يستودعون عند رسول الله الحلي والثمين عندهم، لأنهم يعلمون بأنه هو الصادق والأمين، هذا تناقض عجيب تفعله قريش.

٣ -كان الرسول ﷺ يبث عناصر الثقة في قلوب رجاله وصحابته.

٤ - المشركون في مقابل هذا الصمود الكبير تواصوا بأن يمنعوا القادمين من مكة المكرمة لسماع لهذا الرسول الكريم.

قريش توزعوا حول مداخل مكة المكرمة حتى تلقى القادمين إلى مكة وتحذرهم من هذا النبي الكريم وتقول: ان ساحراً بمكة يقول كذا وكذا .. فإياكم ان تسمعوا له، وكذلك يتلقوا الركبان والتجار ويحذروهم من ان يغالوا في الأسعار.

٥ -محاولات قريش هذه لهدم الدين وهدم عزيمة الرسول ﷺ، سقطت امام الحق لذا رأت ان تجرب اسلوب اخر تجمع فيه بين الترغيب والترهيب فأرسلوا إليه من يفاوضه.

قريش كل يوم تصاب بهزيمة نفسية على مستوى قريش كلها وعلى مستوى أفراد قريش.

لو انت كان لك ابناً او اخً تحاول في شتى الوسائل ان يسير في طريق تريده او تفكر فيه ثم لا يستمع لك، تتأثر انت.

فما بالك بهؤلاء الذين كانوا عندهم ضعفاء ومستضعفين وعبيد يجدونهم صخرة صماء في وجه هذا الإيذاء المعنوي والجسدي ولابد انه هو الذي سيتأثر وهو الذي سيؤذى لأن هؤلاء لم يستجيبوا له فأصيبوا بنكسة نفسية.

تآمرت قريش وتشاورت فيما بينها نتيجة هذه الهزائم المتلاحقة التي منيت بها قالوا دعونا نلتمس اسلوباً آخر علنا ننجح مع محمد هذا ويترك ما هو فيه لم يعد ينفع معه لا أذية جسدية ولا معنوية وكل يوم يزيد أصحابه وكل يوم يزيدوا صلابة في وجوهنا.

٦ -لم يفلح معه اسلوب المفاوضات ولم يغير شيئاً .

اجتمعت قريش على ان تعمل أسلوب مفاوضة عله ينزل عن هذا الذي هو عليه.

أرسلوا لرسول الله عتبة ابن ربيعة وفاوضه وقال: تعال يا محمد أنت سفهت أحلامنا وفرقت جمعنا وسببت آلهتنا وفعلت ما لم يفعله أحد وأنت منا حيث تعلم، ولذلك يا محمد ان كنت إنما تفعل هذا تريد ملكاً فسنملكك علينا وإذا ملكناك فلن نقطع أمراً دونك، انت الملك والسيد ووووو ...، وإن كنت إنما تفعل هذا تريد مالاً سنجمع لك من أموالنا حتى تكون أغنانا وسندفع لك أموالاً طائلة، وإذا كنت تريد نساء أو شهوانياً التمسنا لك أحد ابكارنا فزوجناك، وإذا كان هذا الذي يأتيك مس من الشيطان أو بك جنون التمسنا لك الطب.

✓ سؤال: ماذا قال له الرسول ﷺ ؟

قال رسول الله: اسمع يا لؤي وتلى عليه الصلاة والسلام طرفاً من سورة فصلت، عتبة بن ابي ربيعة وفي رواية أخرى الوليد ابن المغيرة وغيرهم، عتبة من فحول قريش في الفصاحة والبلاغة والوليد أيضاً جميعهم حينما قرأ عليه هذه الآيات لامست مكامن البلاغة عند عتبة وأرغمته على الإذعان والاستماع حتى انه طلب من النبي ﷺ وقال سألتك الله والرحم ان تكف وان لا تقرأ، وتغير وجهه وعاد إلى قريش وقبل ان يصل قالت قريش: والله لقد تغير وجه عتبة وقد عاد بوجه غير الذي ذهب به سحره محمد، حينما جاء عتبة قال: يا قريش اسمعوا قولي، خلوا بينكم وبين محمد اتركوه، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وان يظهر فعزه عزكم ومجده مجدكم، والله انه جاء بشيء أعلاه مثمر وأسفله مغدق وانه ليعلوا ولا يعلى عليه. الكلام الذي سمعته لا هو سحر ولا شعر ولا كهانه، انه حقائق. قالوا: سحرك والله محمد.

أعادوا أيضاً المحاولة مع أبي طالب، وعمه ابو طالب قال لرسول الله: قريش تريد كذا، فقال نبي الله: "والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الأمر ما تركته أو ان أهلك دونه".

٧ -هجرة بعض الصحابة الى الحبشة ومتابعة بعض قريش لها.

٨ -هزيمة معنوية منكرة منيت بها قريش حينما خذلهم النجاشي.
٩ -اسلام كبار قريش، حمزة، عمر ..
١٠ - تحت تأثير كل هذه الهزائم قررت قريش قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلموا في ذلك بنو هاشم وبنو عبد المطلب ولكنهم ابوا تسليمه.

قريش يئست من متابعتها لنبي الله بالرذيلة، ويئست من ان يستجيب لها وان يقبل ما جاءت به قريش، وما اعطته قريش فقررت ان تتجه اتجاهاً آخر وهو القتل.

قررت قريش ان تقتل رسول الله بعد ان نفذ صبرها ولم يكن لديها حيل للأذية، فاوضت وكل هذا لم يجدي ويرجع سلباً على قريش فقررت ان تنتهي منه وان تصفيه وان تقتله.

في الواقع بإن هذه المفاوضات التي فعلتها قريش مع نبي الله يدلنا دلالة قطعية على ان نبي الله ﷺ ليس طلاب سلطة ولا ملك ولا جاه ولا مال، وإنما هو جاء بوحي وبرسالة وجاء بنبوة وجاء بمنهج جديد للحياة وللإنسانية كلها، نبي الله كان يسعى لإقامة دولة لأنه مكلف بإقامة الدولة، حينما يسعى رسول الله لإقامة الدولة هذا لا يعني أنه يريد السيادة أو السلطة أو الملك أو الجاه أو غير ذلك، هذه السلطة جاءته على طبق من ذهب، هاهي قريش قالت انت ستكون ملكاً، خذ المال خذ الحكم خذ النساء خذ الطب خذ ما شئت لكن اترك هذا الأمر.

نبي الله لم يلتفت لهذا ولم يقبل بهذا، دليل ان رسول الله ليست لديه شهوة بالحكم أو بالملك وإنما هو ينفذ أمر ربه سبحانه وتعالى.

قريش بعد هذا اليأس قررت أن تقتله وفاوضت بنو هاشم وبنو عبد المطلب على أن يسلموا نبي الله إليها لتقتله وتنتهي منه.

بنو هاشم وبنو عبد المطلب لم يفعلوا ذلك ولم يسلموا نبي الله لقريش لكي تقتله، طبعاً هذه حمية ولكنها كانت حمية محمودة.

✓ سؤال: لم ترضى بنو هاشم وبنو عبد المطلب أن تسلم رسول الله لقريش كي تقتله، ماذا فعلت قريش؟

لا نفعت معه الأذية الجسدية ولا المعنوية ولا نفع معه العرض المغري الذي تشرئذ به كثير من النفوس ولم تسلمه بنو هاشم وبنو عبد المطلب لقريش كي تقتله، وماذا بعد هو يستفحل وخطره يظهر، فيما رأوه خطر هم والناس تسلم من حوله وأصحابه يزدادون قوة وصبراً.

الإجابة: قررت قريش حينئذ أن تحاصره وتفرض عليه حصاراً اقتصادياً وحصار اجتماعي وسياسي، حصار بكل ما تعنيه الكلمة من حصار.

١١ اللجوء الى المقاطعه العامه.

١٢ احكم الحصار على رسول الله ﷺ حتى بلغت القلوب الحناجر وسمع بكاء صغارهم من وراء الشعب.

نتيجة لهذه الهزائم المتتابعة قررت قريش حصار نبي الله وأصحابة.

✓ سؤال: أين حاصروه؟

حاصروه في الشعب هو وأصحابه.

بحيث يمنعون عنهم المأكل والمشرب والتزاوج والتناكح والتواصل الاجتماعي وان يبيعون أو يبتاعون، حصار رهيب للغاية.

حوصر النبي ﷺ وأحكم الحصار عليه ولقي نبي الله وأصحابه من الضيق ومن العنت ومن الألم الشيء الكثير حتى بلغت القلوب الحناجر.

ثلاث سنوات نبي الله وأصحابه محاصرون في الشعب، لا ماء ولا شجر ولا أرزاق ولا موارد ولا عمل، انه شيء تقشعر منه الجلود، حتى سمع الناس بكاء صغارهم من وراء الشعب يتضورون جوعاً حتى بقوا يأكلون أوراق الأشجار، حتى يقول بعض الصحابه"حتى أن احدنا ليضع كما تضع الشاة" يعني ان الخارج من الإنسان كما تضع الغنم والبقر لأنهم لا يأكلوا إلا شجر من هذا الجوع، ونبي الله ربط الحجر على بطنه من الجوع.

سيد الأولين والآخرين يحاصر ويتضور جوعاً هو ومن حوله من صحابته رضي الله عنهم اجمعين كل ذلك لتتشفى قريش مما لحق بها من هزائم نفسية ولتنتهي من هذا الكابوس الذي ظهر لهم.

١٣ هذا الحصار افاد الصحابة عفة ونقاداً وإخلاصا لا يعرف لها في التاريخ نظير.

كل الصحابه لم يخرج منهم أحد، لا يوجد بهم أحد ند وخرج من هذا الحصار، ولا يوجد أحداً ارتد عن دينه ولا فتر أو سئم أو مل من صحبة رسول الله، ليس فيهم أحداً فكر قط في العودة إلى الوثنية، أبداً لم يستجب منهم أحداً لهذا الجوع والحصار ولهذا الضغط الاجتماعي، ولم يسجل التاريخ أن أحداً استجاب لقريش من هؤلاء الذين حوصروا في الشعب.

١٤ وفي ايام الشعب: كان المسلمون يدعون غيرهم من الحجاج ولم تشغلهم آلامهم عن تبليغ الدعوة وقد كسب المسلمون انصارا كثيراً في هذه المرحله وكذلك كسبوا ان الكفار بدؤوا ينقسمون على انفسهم .

برغم هذا الحصار إلا أن هؤلاء المحاصرون من يظفروا بهم بحاج أو زائر يبلغه الدعوة، لم ينقطع التبليغ برغم ان مكة كلها تحاصر هؤلاء بالشعب، لكن هناك من يتصل بالحجاج وبالزوار وبالتجار ويبلغهم الإسلام.

التبليغ لم ينقطع في مكة المكرمة طيلة فترة هذا الحصار الغليظ وهذا الحصار الشديد، أسلم الكثير رغم ان نبي الله في الحصار ومحاصر وممنوع من الخروج والدخول، إلا ان هناك من يسلم ﴿ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾

نتيجة هذا الحصار وهذا الإصرار كل يوم قريش تنتظر عل محمد يأتي ويعتذر ويخرج ويقول ساترك، عل الناس ينشقوا عنه ويخرجوا، عل كذا وعل كذا ...

لا توجد فائدة بل يزداد الإسلام وتزداد العزيمة والقوة.

قريش تزلزلت من هذه النتيجة، قريش سئمت وملت من هذه النتائج وعدم الاستجابة، ولذلك بدأ الانقسام في صفوف قريش أيضاً نتيجة هذا الصبر ونتيجة هذه العزيمة القوية والثبات بدأت قريش تنقسم على ذاتها وبدأت تنقسم على نفسها.

قريش حينما أدخلوا نبي الله وأصحابه في الشعب كتبت وثيقة ذكروا فيها الحصار و طريقة الحصار وتعاهدت قريش فيما بينها وعلقوا هذه الوثيقة بأستار الكعبة، هذه وثيقة دستورية وثيقة جائرة.

نبي الله قال لعمه أبو طالب: يا عم ان الله سلط الأرضة "الأرضة التي تأكل الخشب والأوراق" على الصحيفة الجائرة فأكلت كل ما فيها إلا ما فيه ذكر واسم الله. قال ابو طالب لنبي الله: الله أخبرك بذلك. قال رسول الله: نعم.

ابو طالب ذهب إلى قريش وتظاهر بإنه يريد ان يتفاوض معهم في فك الحصار، ففرحت قريش بهذا وجاءت ضانة ان نبي الله عليه الصلاة والسلام قد تراجع عن دعوته.

وقال ابو طالب: اسمعوا يا قريش ائتوا بالصحيفة.

فجاءوا بها. وقال ابو طالب: إن محمداً يقول ان الله سلط الأرضة على هذه الصحيفة فأكلتها إلا ما كتب فيه اسم الله لنفتحها ونرى ان كان كلامه صحيح فخلوا عنه الحصار وإن كان ما قاله محمد غير صحيح سلمناه لكم فاقتلوه.

تهللت وجوه قريش بالفرح والسرور ان بدأت ثمار الحصار تثمر عندهم وبدأت الثمرة تظهر لقريش ثمرة الحصار، واتفقوا على ذلك، إن كان الذي قاله محمد صحيح نفك الحصار وإن كان غير صحيح تسلموه لنا ونقتله.

حينما فتحوا الصحيفة وجدوا أن ما قاله رسول الله صحيحاً وأن الأرضة قد أكلت كل شيء إلا ما كان فيه ذكر الله، نكصوا على أعقابهم وارتدوا عن كلامهم وعما قالوه.

قالوا: هذا سحر ابن أخيك، هو ساحر وكاذب وشاعر، سحره هو الذي أكل الصحيفة وكل ما تقوله سحر وليس وحي، ولم يستجيبوا وينفذوا ما اتفقوا عليه وبقي نبي الله محاصر.

نبي الله معه بنو هاشم وعمه أبو طالب العباس ابن عبد المطلب وكل بنو هاشم ماعدا أبو لهب الذي اعلن انه من قريش وانه تنازل عن هذه العصبية.

الذين مع نبي الله وليسوا على دين الإسلام ذهبوا مع رسول الله حمية وعصبية وليس ديانة أو انهم مصدقون لما جاء به او انهم يدافعون عن هذا المعتقد الجديد، إنما ذهبوا حمية قبلية حمية النسب، كان سيدنا العباس ابن عبد المطلب معه اسلم بعد بدر ولكنه كان ينصر النبي ﷺ ما كان ليؤذيه.

١٥ دعوة الاسلام ليست ثورة اقتصادية من الفقراء على الاغنياء.

كثير من الناس يقولون بإن الشيء الذي ظهر في مكة هو ثورة فقراء ضد أغنياء، يعني كان هناك فقراء في مكة المكرمة ومستضعفين ومضطهدين فما صدق هؤلاء الضعفاء ان وجدوا من ينصرهم ويقوم معهم ويلفهم حوله، فكانت هي ثورة فقراء ضد الأغنياء فانتصر الفقراء الجائعين هؤلاء ضد الأغنياء.

الحصار في الشعب يرد على هذا، هاهو بلال وجميعهم والفقراء والمستضعفين كانوا مع الرسول علية الصلاة والسلام في الشعب، لو كانت ثورة فقراء ضد أغنياء ما كانوا قبل الحصار حالهم أفضل لكن حينما دخلوا في الحصار ساء حالهم.

فلو كانوا فقراء ويريدون ان يثوروا ضد الأغنياء ثم يجدوا النتيجة انهم محاصرون في الشعب و انهم جائعون لا أكل ولا شرب ولا شيء، فإن كانت هذه النتيجة سيتراجعون عن ثورتهم هذه.

لذلك الحصار في الشعب يؤكد تأكيداً قطعياً على ان هؤلاء إنما التفوا حول رسول الله ديانة وعقيدة ومنهجاً وصدقاً وبُعداً عن كل تلك الأقاويل التي قيلت في هذا الجانب.

قريش فيهم من لامت نفسه فيهم عقلاء تلاوموا فيما بينهم وقالوا: أنا نأكل ونشرب ونتناكح ونتاجر وأصحابنا في الشعب محاصرين لا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون، تعايبوا فيما بينهم هذا العمل وان هذا ليس من شيم العرب ان يفعلوا هذه الأفاعيل في أهلهم وذويهم وأقربائهم وأبناء جلدتهم وأبناء قبيلتهم، ليس من شأن العرب هذا.

من ضمنهم ابا البختري بن هاشم والمطعم بن عدي وخمسة من كبار قريش تشاورا ليلاً واتفقوا على ان ينقضوا الصحيفة وان يمزقوا الصحيفة وان يفكوا الحصار عن نبي الله ﷺ.

قاموا من اليوم الثاني وتكلموا في نوادي قريش وقال أحدهم: لا يجوز يا قريش ان نبقى على هذا الحال وان يبقى محمد وأصحابه فأهلنا وإخواننا وعشيرتنا في هذا الحال المزري فأنا أعلن أني سأنقض هذا العهد وأني خارج عن ما اقتضته هذه الصحيفة . قام الآخر وقال: اؤيد فلان.

قام ابو جهل وقال: انه امر مدبر بليل وانتهى الأمر إلى ان فُك الحصار ومزقت الصحيفة.

نبي الله لم ينسى المعروف من المطعم بن عدي وابا البختري بن هشام بأنهما سعيا لنقض الصحيفة والحصار، لذلك قال رسول الله في غزوة بدر من وجد ابا البختري بن هشام فلا يقتله ومن وجد العباس ابن عبد المطلب فلا يقتله وحينما كان الأسرى في بدر قال عليه الصلاة والسلام لو ان المطعم بن عدي حياً ثم تشفع في هؤلاء النتنا لشفعته فيهم، يعني وإن كان كافراً ولكنه صنع معروفاً، فهذا من شيم الإسلام وقيمه ان لا تنسى من صنع لك معروفاً فمن صنع لك معروفاً فكافئوه فإن لم تستطع فاشكره أو ادعوا له فهذه الأعمال ذات القيمة الخُلقية لم ينسها نبي الله.

فك الحصار وخرج نبي الله ﷺ من هذا الحصار وخرج المسلمون اقوياء لا نفع معهم حصار ولا نفع أذية معنوية ولا جسدية كل هذا لم يجدي نفعاً مع المسلمين لأنهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

هذا الحصار يفيدنا في ضرورة الثبات على المبادئ والقيم والأخلاق ويفيدنا في سلامة هذا المنهج الذي جاء به نبي الله ويفيدنا في عظمة هؤلاء الصحابة لا اكل ولا شرب في اضرب الحصار وفي تفنن التعذيب، كل هذا لم يجدي.

يدلنا على ضرورة التمسك بديننا والتمسك بالقيم والمبادئ والأخلاق.

نتيجة هذا الحصار انتصار المسلمون.

ما فعلت قريش لم تستفد منه إلا الخيبة والهزيمة النفسية وانتصار المسلمين وثباتهم وزيادة تثبت المسلمون بدينهم وبقائهم على دينهم والالتحام حول النبي ﷺ وهذه شدة ولدت نوعاً من الصبر وولدت صفاء نفسي كبير لهؤلاء واستعداد لمرحلة البناء القادمة.